

بغداد في الكتابات الأردية كتاب "ألف ليلة وليلة" نموذجًا

مقدمة

أ.د. عبد المجيد البغدادي^(*)

في أوائل القرن الثامن عشر، وأصبح تأثيرها غير مقتصر على عصر محدد، وغير مرتبط بحركة فكرية أو أدبية محددة، وهذا يعزز نظرية أن الفن رغم ارتباطه بهذا العالم الفاني، إلا أنه من الممكن أن يحقق الخلود، فالأعمال الإبداعية الخالدة تلي أن أعمق رغبات كياناتنا، وهذا ما نجده في ثنايا «ألف ليلة وليلة»، إذ تعد من الأعمال الإبداعية الخالدة التي تلقى قبولاً على قراءتها على مر العصور، فالقارئ لـ «ألف ليلة وليلة» يشعر بأنه يعيش عوالم خفية منذ القدم، فهي تلي أعمق رغباته، كما تكسبه قدرًا من التسامح، كما تُنحى معها الهويات اللغوية والثقافية، فهي مزيج لتقاليد وأعراف وثقافات مختلفة.

ألف ليلة وليلة أشهر مجموعة قصصية عربية، فلم يشتهر كتاب في العالم مثلما اشتهر هذا الكتاب، ولم يؤثر كتاب في الأدب العالمي مثلما أثر هذا الكتاب، ويُعد كتاب «ألف ليلة وليلة»، بحر من القصص، لا شاطئ له، حيث تتدفق فيه العديد من الأنهار والبحار، والتي يعيش بداخله العديد من المخلوقات مختلفة الأجناس والطباع، فتمتد جزره من بغداد إلى الهند وإيران، ومصر وأوروبا، وغيرها من البلدان العربية وغير العربية، والإسلامية وغير الإسلامية منها، فإذا كان علينا أن نختار كتابًا واحدًا عالميًا يجمع بين الثقافات المختلفة، فلن نجد سوى «ألف ليلة وليلة»، لما له من قدرة على تجاوز الحدود العرقية والقومية والجغرافية والزمنية، لذا فلم يقتصر قراءتها وتأثيرها على الناطقين باللغة العربية فحسب، بل لها تأثير على الآداب الشرقية والغربية معًا، حيث تم ترجمتها إلى العديد من اللغات العالمية، من بينها: الفارسية والأردية والفرنسية، والإنجليزية، فقد تم ترجمتها في أوروبا

أصل الكتاب

الكتاب من أصل فارسي، وهو يدعى عند الفرس «هزار افسانه» أي ألف خرافة. ويذهب بعض المحققين إلى أن للكتاب أصلاً هندياً، وأصلاً آخر يونانياً، ويكون بعض الحكايات من هذا الأصل، وبعضها من الأصل الآخر^(١). أما عن مؤلف «ألف ليلة وليلة» فمن الصعب تحديد راوٍ بعينه لقصص ألف ليلة وليلة، رغم أن شخصية «شهرزاد» - وهي شخصية الراوي العليم لجميع قصصها - حظيت في دراساته بنفس أهمية مؤلفها، إلا أنه ليس المؤلف لها، بل إنها شخصية مخترعة، وهو من بين شخصيات هذه القصص العبقريّة، فلا يوجد لها مؤلف ولا راوي، وهذه معجزة فريدة من نوعها في تاريخ الآداب العالميّة، بأن يكون يتولد عمل رائع مثل «ألف ليلة وليلة» بدون مؤلف، إذ لا تنتمي لكاتب محدد، فيذكر أنه قام بكتابتها مجموعة من الرواة كان يتواجدون في شوارع وأحياء وميادين ومقاهي بغداد وغيرها من المدن، لكنها لا تنتمي إلى الأدب الشعبي غير أن شعرها وقصصها السردية ظهرت عن طريق مزج عدة تقاليد وثقافات مختلفة، فهي تراث مميز من نوعه، وحدث فريد في تاريخ الأدب العالمي، وملحمة إبداعية خلاقة مما دعا العديد من مترجمين الشرق والغرب إلى ترجمتها إلى لغات عديدة، ولاقت قبولاً ورواجاً بين العامة والخاصة، صغاراً وكباراً، يستمتع بها الناس في خلوتهم وجلوتهم^(٢). وكان هذه القصة لديها القدرة على التعبير عن

الوجود الاجتماعي والفردى للإنسان في آنٍ واحدٍ. فكما أشرتُ بأن رواة هذه القصص لم يهتموا بذكر أسمائهم، غير أنها تدين بترجمها الأوروبي الأول، أنتوني جولان، حيث أشار بورخيس في مقالته التي كتبها عن مترجمي «ألف ليلة وليلة» بأن هذا الكتاب قُدم إلى أنتوني جولان من قبل حنا - مسلم عربي - ليقوم بترجمتها، وبالفعل قام بترجمة بعض القصص منها قصة: «اله الدين، والاربعين حرامي، أبو الحسن، والخليفة هارون الرشيد»^(٣).

ويذكر محمد كاظم، أن «ألف ليلة وليلة» قد ورد ذكرها لأول مرة في «مروج الذهب» للمسعودي ثم في «الفهرست» لابن النديم. ومما ذكره المسعودي حول هذا الكتاب: «بأن قصص ألف ليلة وليلة مبني على الأساطير والخرافات»^(٤).

ويشير محمد كاظم، إنه تم ترجمة هذا الكتاب من البهلوية إلى العربية في القرن الثالث الهجري، واكتملت في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي). حيث كان في البهلوية بعنوان «بهلوي كهزار»: وتعني الألف بهلوية، ثم نُقل إلى العربية بعنوان «ألف ليلة وليلة»، ثم إلى الأردية بعنوان «هزار افسانه»: وتعني ألف قصة.

وأرى أن الترجمة العربية والأردية لم تتعد عن أصلها الفارسي، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث استطاعت أن تخلق هويتها الخاصة عليها، حيث ذُكرت بعض كتب التاريخ بأنها قصة عربية الأصل

المسلمين بعض الأسرى من الجنود الصينيين الذين يعرفون فن صناعة الورق»^(٥).

وخلاصة القول أنه بالرغم من أن المسعودي، وابن النديم، أشار إلى أن «ألف ليلة وليلة» هو فارسي الأصل بعنوان «هزار افسانه»، إلا أن بعد كل ما سبق، وبعد كل هذه الدلائل، نجزم القول بأنه عربي الأصل بتقاليده القصصية وحبكاته وشخصياتها، وتناوله للحياة العربية عبر العصور التي كُتبت فيه، فهو لا يعد كتاباً للتسلية فحسب، بل كان ولا يزال موسوعة حضارية وأدبية تزخر بالعديد من الجوانب الحضارية والثقافية والاجتماعية والسياسية، كما يهتم بتناوله لقضايا الإنسان عن طريق الحكايات والخرافات التي تتخللها العديد من النصوص الشعرية، وهذا ما نراه في الحكايات البغدادية^(٦).

وظلت قصص «ألف ليلة وليلة» تُحكى، وأصبحت تنتقل من مكان إلى آخر عبر المخطوطات المكتوبة. وانتقلت مع الجنود المسلمين من إسبانيا إلى أوروبا كلها، وقد قام بترجمها الفرنسي «أنطوني جالان» خلال الأعوام ١٧٠٤-١٧١٧، وقد لاقت ترجمته رواجاً واستحساناً كبيراً. ولكن وفقاً لما ذكره مارتين بينشر، أن النسخة العربية كان لها الفضل في سبب رواجها وانتشارها، فكان تأثيرها واضحاً على أدباء ومفكري الغرب من أمثال: تشوسر وبوكاتشييو. بل إن خورخي لويس بورخيس يقول: إن المبادئ التي وضعها بوليو - الشاعر والناقد الفرنسي ومؤلف «فن

وكتبت باللغة العربية، وتجاهلوا تماماً أصلها البهلوي. ومن المفارقة العجيبة أن الشخصية الرئيسية في هذه القصص وهي شخصية «شهرزاد» كما وردت في النسخة العربية ليست شخصية إيرانية فحسب، بل إن المنطقة التي يتم تقديمها في هذه القصة هي أيضاً غير عربية، تنتمي إلى بلاد الهند وإيران.

والسؤال الذي يدعو للدهشة هنا هو:

كيف انتشر ألف ليلة وليلة في بغداد في القرن الثامن؟

وقد استطاع مارتين بنشر تفسير هذا، بأن المصدر الرئيسي للحضارة الإسلامية في عصورها القديمة، وفي العصور الوسطى أيضاً، معتمداً على الروايات الشفهية، وهو ما اعتمدت عليه «ألف ليلة وليلة»، إذ كان من بين رواة هذا الكتاب، من كانوا يروون قصصهم بين الناس في الشوارع والأسواق والميادين والمقاهي. وهذا ما دعا المسعودي لقوله بأنها قصص خرافية لا ترقى لمستوى الآداب العالمية، ويعود بحث مارتين بينشر إلى أن سر رواج «ألف ليلة وليلة» يعود إلى أنها أول كتاب قدم بشكل ورقي مكتوب. فالورق اخترع من قبل الصينيين، ولعدة قرون احتفظوا بهذا السر لأنفسهم. ووفقاً لما ذكره مارتين بنشار:

«أنه في عام ٧٥١م، اندلعت حرب بين المسلمين والصينيين في تالاس، كازاخستان الحالية. وقد هُزم الصينيون، وفي هذه الحرب وقع في أيدي

فمن الجدير بالذكر أن العديد من القصص الموجودة في ألف ليلة وليلة تتميز بتنوعها وغمرها للقارئ في عوالم مختلفة، هذا التنوع والغمر في الحكايات قد أثرًا بشكل كبير على الفن السردى وتطور الرواية في مختلف مرحلتها، كذلك القصص القصيرة والروايات ذات العناصر السحرية والمغامرات الرائعة، فهي مكونات مأخوذة من هذا التراث الأدبي العظيم.

بغداد في الكتابات الأردية من خلال كتاب «ألف ليلة وليلة»

بغداد هي العاصمة التي اقترن اسمها بحكايات ألف ليلة وليلة، وسحر الشرق وعطرها وألوانه التي تبعث البهجة في النفوس. إنها مدينة التفاصيل بجدارة. ومن دونها، تصبح ناقصة ومشوشة. لا تزال شهرزاد تروي قصصها شهريار في المدينة الشاهدة على ولادة أشهر عمل أدبي عربي «ألف ليلة وليلة». عند نهر دجلة، وتحديدًا في شارع أبو نؤاس، تقف شهرزاد بشموخ أمام الملك الذي أفنى قبلها مئات النساء، وترفع يديها نحو الأعلى، وكأنها تلقي خطابًا مهمًا لا ينصت إليه شهريار وحده! ستجد كل عابرٍ أمام النصب مأخوذًا بها ومفتونًا بها تقول.

فالف ليلة وليلة قصص بغدادية كتبتها امرأة بغدادية، ولاسيما وانها مجموعة قصص تقولها شهرزاد وهي انشى لزوجها السلطان شهريار وقد ترجمت هذه القصص الى اغلب لغات العالم

الشعر» - في نهاية القرن السابع عشر كأساس للأدب الأوروبي، انتشرت في أوروبا من خلال ترجمة «ألف ليلة وليلة»، ومن هذه المبادئ الأدبية، كانت الواقعية، ذات أهمية خاصة، فكانت أوروبا تنشر هذه المبادئ باعتبارها المعيار الوحيد للأدب في مستعمراتها الجديدة، وكان الحدائون في هذه المستعمرات يرون خلاصهم في التخلي عن المنهج الكلاسيكي^(٧).

ومن هنا بدأنا ندرک أن «ألف ليلة وليلة» يُعد نص عالمي في حركة مستمرة يتماشى مع جميع الآداب العالمية، مما جعل بعض النقاد يذكرون بأنه من الصعب الاعتقاد بأن هذه القصة تنتمي إلى ثقافة واحدة، وخاصة الثقافة العربية الإسلامية وقد تركت لنا الأثر الكبير الذى جعلت من القصة والرواية والأساطير محورًا لتحريك المخيلة الإبداعية لدى الكتاب والمؤرخين في كل أرجاء العالم، وقد جمعت على مراحل من تراث ما أبدعه العقل البشرى من صياغة أحداث كان لها الأثر في عصور لاحقة، كما تعتبر واحدة من أهم التأثيرات الثقافية والأدبية في التاريخ العالمى، فمن حيث تأثيرها في الأسلوب والهيكلة السردى، قدمت حكايات ألف ليلة وليلة، أساليب سرد مبتكرة، مثل القصة في القصة واستخدام الإيقاع والتوتر في السرد، هذه الأساليب أثرت على أساليب السرد فى الأدب العالمى وشجعت على التجريب والابتكار فى الكتابة القصصية أو الروائية أو حتى الشعرية أيضًا.

والدراسات، وهذه الدراسة التي بين أيدينا واحدة من بين هذا الدراسات على مستوى الأدب الأردني، إذ تقدم صورتها من خلال كتابات أهل الأردية.

ولقد ترجم الكتاب عدة تراجم مجزأة إلى الأردية بعضها عن الأصل العربي عن نسخة كلكتا الأولى، والبعض الآخر عن الأصل الإنجليزي في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وقد لاقت النسخة الأردية قبولاً واستحساناً لدى أهل الأردية، وانتشرت في جميع أرجاء شبه القارة الهندية وباكستانية، وذاع صيتها، والسبب في تقبلها لدى أهل الأردية، يعود إلى أن مثل هذا النوع من القصص والأساطير كانت موجوداً من قبل في الأدب الأردني، مثل: داستان أمير حمزاً وطلسم هوشربا، باغ وبهار، بوستان خيال، فسانه عجائب^(١٠).

من عام ١٨٣٦ إلى عام ١٩٤٦، قام العديد من الشعراء بترجمة الف ليلة إلى اللغة الأردية، كما قام العديد من الشعراء أيضاً بنظمه باللغة الأردية ومنهم ميرزا رجب علي بييج سرور، وبندت رتن ناتة سرشار، وميرزا حيرت، وقار عظيم وأبو الحسن منصور الذي نشرت ترجمته في عام ١٩٤٠^(١١).

الكتاب الذي نشرته مطبعة جامعة أكسفورد، يقال عنه أن رتن ناتة سرشار عمل فقط على المجلد الأول بينما المجلد الثاني قام بإعداده مولوي محمد

كالفرنسية والانجليزية والالمانية والروسية والايطالية^(٨).

وكتاب الف ليلة والليله يقترن ببغداد اقتراناً غريباً وما ان تسمع ببغداد في هذه الحكايات حتى تشم عطر الف ليلة وليلة فلقد صورت هذه الليالي في بغداد واحسن التصوير اذ تترأى ببغداد في هذه الحكايات بقبابها ومساجدها وقصورها وخلفائها وازقتها وحوانيتها وبعاتها وتجارها وزهادها وعبادها وما ان تسمع هذه الحكايات حتى تسمع اغاني الموصلي المغني العباسي المشهور، وما ان تسمع ببغداد حتى تشم عطر تاريخ هذه المدينة وما ذكرته هذه الحكايات من معالم ببغداد كانت كثيرة فذكرت كرخ ببغداد على لسان تاجر عماني انحدر الى ببغداد وشواطئ النهر المطل على قصور الخلفاء على لسان صياد يصطاد بقرب احد القصور وجامع المنصور على لسان متحدث عن يوم الجمعة في ببغداد ومساجد ببغداد في حكايات كثيرة وتاجر سرقت امواله ولج الى احدى المساجد ببغداد^(٩).

ومما لا شك فيه أن حكايات وقصص ألف ليلة وليلة انتقلت وشاعت في جميع الآداب العالمية من خلال حركة الترجمة، وكان لها مكانة عالية على مستوى الآداب العالمية إلى هذا الحد الذي جعل أكبر وأشهر الأدباء العالميين يستقون منها قصصهم وأفكارهم، ولكن كثرة الترجمات التي تمت لهذا الكتاب جعل لها عدة روايات والتي قد تتباين أو تختلف من أدب لآخر، وجعل من شخصية شهرزاد محوراً هاماً للعديد من الباحثين

الأفلام المعدة على

الألف ليلة وليلة

معظم الأفلام المستوحاة من قصص ألف ليلى تم إنتاجها باللغة الإنجليزية. وتم إنتاج أول فيلم من هذه السلسلة هو "سارق بغداد" في عام ١٩٤٢. وتم إنتاج أفلام تحمل نفس الاسم في ١٩٤٠ و١٩٥٢ ومرة أخرى في عام ١٩٦١. في حين أن الفيلم الأكثر شهرة من هذه السلسلة هي "ليالي العرب" تم إنتاجه عام ١٩٤٢. وتم إنتاج أفلام تحمل نفس الاسم عامي ١٩٥٩ و١٩٧٤. وتم إنتاج فيلم عام ١٩٩٢. وتم إنتاج فيلم عام ١٩٩١ تحت اسم حاتم الطائي وفي باكستان استخدمت هذه القصة أيضًا في صناعة الأفلام، ففي عام ١٩٦٥، صدر فيلم بعنوان "هزار داستان". تم تقديم مزيج تحت اسم "اله دين" عام ١٩٨١. بينما تم إصدار "حاتم طائي" عام ١٩٨٦. وفي مجال التلفزيون تم إنتاج وبت مئات المسلسلات الدرامية في كل من باكستان والهند بحسب موضوع كل قصة مذكورة في الكتاب بث نشره أيضا. وعمل عليها العديد من المسرحيين. أما في الصحافة فقد كتبت حوله مئات المقالات على موضوع من الموضوعات وكان الكتاب احيانا يقتبسون منها وحيانا يذكرونها استعارة وكناية فقط. نذكر من أشهر الصحفيين في ذلك: زاهدة حنا التي ذكرت في مقالاتها عدة مرات وكشور ناهيد، حسن نثار، جوهان، ومستنصر حسين.

إسماعيل. لكن اسم رتن ناتة سرشار هو الاسم الوحيد الموجود في جميع مجلدات أكسفورد الأربعة، وتمت ترجمته لاحقًا من مولوي عبد الكريم في أسلوب المقفى ومسجع. وهذه الترجمة نشرت في العصر الحديث عام ٢٠١١ من طابع "سنگ ميل" مع مقدمة بقلم إنتظار حسين، بينما تم إصداره الثاني عام ٢٠٢١ في أربع مجلدات تحت رعاية شمس الرحمن فاروقي وأجمل كمال تحت رعاية مطبعة جامعة أكسفورد^(١٢).

ويقول إنتظار حسين في مقدمته إن من الأدباء المميزين الذين ترجموا ألف ليلة باللغة الأردية منهم «مولوي عبد الكريم، وراتن ناتة سرشار، وميرزا حيرت دهلوي، و (أبو الحسن) منصور أحمد» ثم يكتب عن هذه الترجمة ويقول:

"سرشار لم يترجم ألف ليلة بل أنه كتب بأسلوبه الخاص كأنها هي رواية جديدة، ولكن بطريقة خلاصة، وكتب القصص الطويلة في بضع صفحات فقط"^(١٣).

وترجمة أخرى بالطلاقة لألف ليلة إلى الأردية قام بها الدكتور أبو الحسن منصور، أستاذ جامعة عليكرة. وتم نشره بين ١٩٤٠-١٩٤٦ في سبع مجلدات ضمن منشورات سلسلة أنجومان ترقى الأردنية (الهند) دهلي. ثم نُشرت نسخته الحديثة في باكستان عام ٢٠٠٩ بواسطة «تخليقات» في سبع مجلدات^(١٤). وهذه الترجمة الأسهل والأبسط والأكثر سلاسة والأكثر طلاقة وهي قريبة جدًا من النص الأصلي.

٧. فلپ ایف کنیڈی ومیرینا وارنر، Scheherazade's
Children: Global Encounters with the
Arabian Nights، نیوریارک یونیورسٹی
پریس، ٢٠١٣، ص ٩٠.
٨. سهیر القلماوی، ألف ليلة وليلة، دار المعارف،
مصر، ص ١٢.
٩. الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)،
ص ٦١٠.
١٠. ألف ليلة وليلة، ص ٣.
١١. وقار عظیم، ہماری داستانیں، شیخ غلام علی اینڈ
سنز، ١٩٨٠ء، ص ٤٨٧.
١٢. انتظار حسین، ہزار داستان، سنگ میل
لاہور، ٢٠١١، ص ٣٦١.
١٣. نفس المصدر، ص ٣٦٢.
١٤. ہزار داستان، ص ٤٧١.

الخلاصة

تلك جولة خاطفة في كتاب «ألف ليلة وليلة»، وهو كتاب غني بهادته، جذاب أسلوبه، يُطلعنا على نواحي شتى من حياة الشرق في العهد القديم والوسيط، ويكشف لنا عن بعض نزعات النفس الشرقية. ولكن المعرفة التي نحصل عليها من خلاله ليست شاملة ولا كاملة وليست خالية من الأوهام التي بثها الخيال في تضاعيف الحكايات. ومهما يكن من أمر فالكتاب كنز ثمين من كنوز الإنسانية، ولهذا تُرجم الى كل لسان وانتشرت أقاصيصه بين الخاص والعام، وكانت مادة خصبة لكتاب الأردنية نقلوا من خلال التجربة على لسانهم وعرفوا بها شريحة هامة من الناطقين بالأردية في كل مكان وكل زمان.

الهوامش

١. حناء الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص ٦٠٣.
٢. نفس المصدر، ص ٦٠٤.
٣. خورخه لوني بورخيس، The Translators of
The Thousand and One Nights، بنگوئین،
انگلینڈ، ١٩٩٩، ص ٩٢.
٤. محمد كاظم، عربي ادب میں مطالعے، سنگ میل
پبلی کیشنز، لاہور، ٢٠٠١، ص ٢٤-٢٥.
٥. مارٹن پنشر، The Written World، گرانٹا پبلی
کیشنز، ٢٠١٧، ص ١٣٧.
٦. الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)،
ص ٦٠٣.

Baghdad in Urdu writings

The book “One Thousand and One Nights” is an example

Dr. Abdul Majeed Baghdadi

Allama Iqbal Open University Islamabad

Abstract

In Arabic literature, alf-Laila holds a significance akin to Homer’s “Odyssey” in global literature. Known by its complete name, ALF-Laila wa Laila, which translates to “One Thousand and One Nights” in Arabic, it stands as a monumental work of Arabic literature. With a collection of ten thousand stories, it is also referred to as “Hazar Daṣṭan” (thousand tales). Arab storytellers are believed to have commenced narrating its initial sections in the eighth century AD. Subsequent contributions from storytellers in Turkey, Egypt, and Iran further enriched its content. An intriguing aspect is the Western Orientalists’ role in unearthing this Eastern treasure.

In the 18th century, Antoine Galland, a French orientalist, stumbled upon tales of Sinbad in a French library. Intrigued by Oriental studies and possessing a talent for storytelling, he translated and published these tales in French. The translation of this masterpiece into Urdu was completed at some point in the 20th century. The inaugural edition, titled “Alf Laila Al-Ma’roof Beh Hazar Daṣṭan,” is available on the renowned Urdu website “Rekhta.” Owing to its collaborative translation, the names of the translators remain undisclosed. Notably, Professor Abul Hasan Mansoor of Aligarh University rendered Alif Laila into Urdu, garnering acclaim for his work. The current edition, published in Pakistan in 2009 across seven volumes, builds upon its original publication between 1940 and 1946 under the Anjuman Praghi Urdu (India) Delhi series of publications. Widely regarded as the most accurate and fluid translation, it preserves the essence of the original text.